رثاء عالم(*)

أهاجَ لنا الحزنُ العيونَ البواكيا ... وأسهدَ موتُ الشيخِ منا المآقيا
بكيناهُ بالآلام ملءَ نفوسنا ... وبالحزنِ قتَّالاً، وبالدمعِ جاريا
ويا دهرُ، لمْ تدركْ فجيعتنا به ... لقد كنتَ جباراً وقد كنتَ قاسيا
أحقاً إمامَ الخيرِ أن لستَ عائداً ... إلينا، وأنْ لا ملتقى بكَ ثانيا
عزيزٌ عليَّ اليوم والخطبُ فادحٌ ... مقامي وإنشاديكَ هذي المراثيا

* . * . * . * . *

ألا رحمَ الرحمن «طاحون» إنه ... كثيرُ الأيادي عاشَ للخيرِ هاديا
همامٌ بنى للدِّينِ مجداً مُدعمّاً ... وشيَّد صرحاً للحنيفةِ عاليا
وكان إذا ما المزنُ ضنَّتْ بمائِها ... هو القطرُ، كلا بل هو الغيثُ هاميا
متى تأتِهِ تلقَ السماحة والندى ... وإن عدتَ من دارٍ له عدت راضيا
يجودُ إذا ضنَّ الجوادُ بنفسِهِ ... ويرعى لحقِ الضيفِ ما دامَ ثاويا
ولا خيرَ إلا كان للخيرِ رائداً ... ولا جرحَ إلا كان للجرحِ آسيا
وكم من صروحٍ للهدايةِ والتُقى ... بناها ـ له الحسنى ـ وأعلى المبانيا
عرفنا لهُ في كل مكرمةٍ يداً ... ونعلمهُ للبذلِ في الخيرِ ساعيا
وما كان فيضُ النُّبلِ منهُ تطبعاً ... ولكنهُ طبعٌ به عاشَ حاليا
جوادٌ عهدناهُ إلى البرِّ مُسرعاً ... إذا غيرهُ في البرِّ أبدى التوانيا

(*) ألقيت في رثاء العالم الواعظ الشيخ محمد طاحون بمأته في ٣١ مايو أيار ١٩٥٥.

عظيمٌ رفيعُ القدرِ يسعى إلى العلا ... ويَعشقُ في نفع الأنامِ التفانيا
وهمَّتُــهُ في الحقِ دونَ ثباتِهــا ... ثباتُ قوي الطودِ الذي باتَ راسيا
فهذا الذي إن عاشَ عاش مُكرَّماً ... وإن ماتَ يمضي خالد الذكرِ باقيا
عليه سلامُ اللهِ كمْ كان ذا تُقى ... وكم كـان بَراً للحـوائجِ قـاضيـا
قضى عُمره مثلَ الزهورِ فعيشُهـا ... قصيـرٌ ولكن تتركُ العـطرَ زاكيـا

* . * . * . * . *